

# منها حياة الإنسان والحضارة في العراق القديم

منذ أوائل الألف السادس ق.م حتى بداية النصف الثاني من الألف الخامس ق.م

أكرم محمد عبد كسار  
ماجستير آثار عصور ما قبل التاريخ

حلف الواقع على نهر الخابور شمال شرقي سوريا قرب الحدود التركية من قبل الاستاذ ماكس فون اوبنهايم Max Von Oppenheim عام ١٩١١ ، وقد كشفت اعمال التنقيبات فيما بعد عن مخلفات هذه الحضارة في مواقع عديدة في العراق وسوريا وتركيا ، ميزت بأواني فخارية متعددة الالوان وصناعة يدوية متقنة وجميلة ونقوش هندسية وطبيعية .

## الحياة الاقتصادية

للنشاطات الاقتصادية أهمية كبيرة في حياة الانسان ، وتشكل الاساس المادي لبناء الحضارة . ولعبت الظروف البيئية والمناخ دوراً واضحاً في توجيه الفعاليات الاقتصادية في تاريخ الانسان القديم ، وتتضح نتائج هذه الفعاليات من المخلفات الاثرية الهامة التي تعين الدارسين على تتبع خطوات الانسان في مراحل تطور حضارته القديمة .

إن معرفة دقيقة ووثيقة بأحوال المناخ والبيئة تساعد الباحثين في تصور طبيعة النشاطات الاقتصادية ، واستنتاج وظيفة المخلفات المادية . وتشير الدراسات التي استندت الى تحليل المخلفات الاثرية لعصر حلف الى تقارب كبير في الظروف البيئية والمناخية بين مرحلة عصر حلف وبين الوقت الراهن ، وكانت بقايا عظام الحيوانات المكتشفة في مواقع عصر حلف التي لا تختلف كثيراً عن الحيوانات الحالية تؤكد هذا الاتجاه في تصور البيئة الطبيعية<sup>(١)</sup> .

(١) Braidwood, R.J and B.Howe Prehistoric Investigations In Iraqi kurdistan Studies In Ancient Oriental Civilization, No. 31, University of Chicago press, Chicago 1960, pp. 163-173, 181.

## المقدمة :

شهد العراق ومناطق مجاورة في الشرق القديم تحولات كبيرة في ما يصطلح العلماء على تسميته بالعصر الحجري الحديث-Neo lithic ، وكان من أبرز مظاهر تلك التحولات اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوان ونشوء القرى الزراعية ، وتميز صناعة الآلات والادوات الحجرية في علاقتها بالنشاطات الاقتصادية الجديدة .

كما كان من خصائص العصر الحجري الحديث ، صناعة الفخار بأشكال وحجوم مختلفة استخدمت لأغراض متعددة ، وغني عن القول أن توجه الانسان لصناعة الفخار أملت بها البيئة الزراعية وحاجات الانسان اليومية .

وبالنظر لشيوع استخدام الفخار وتطور صناعته شكلاً وتقنية ، فقد اعتمده الباحثون أساساً لدراسة اوجه التطور الحضاري لمراحل العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني ، وبقي اعتماد الفخار مقياساً للمراحل التطورية مستمراً في دراسة العصور التاريخية اللاحقة من حضارة وادي الرافدين . ارتبطت صناعة الفخار بسكنة القرى الزراعية ، وأمكن بالاستناد الى المهارات المكتشفة في صناعة الفخار اشكالاً وحجوماً وزخارف وألواناً ، بالإضافة الى مخلفات مادية اخرى اكتشفت في مواقع القرى الزراعية ، من تحديد مراحل تطورية ترتبط بفترات زمنية في حياة سكان وادي الرافدين .

وقد ساعدت مكتشفات بعض المواقع من تقديم مخلفات لادوار مختلفة في طبقات متعاقبة مما يؤكد ارتباط المراحل التطورية بفترات زمنية ، وبموجب ذلك فقد سجلت مراحل تطور العصر الحجري الحديث والعصر الحجري المعدني تبعاً لاسماء المواقع التي سجلت فيها الاكتشافات لأول مرة فكانت : قلعة جرمو ، وتل حسونة ، وسامراء ، وتل حلف ، وتل العبيد ، والوركاء وجمدة نصر .

وتم اكتشاف حضارة جديدة عرفت بحضارة حلف نسبة لتل

الزراعية الحنطة والشعير والعدس والبيقية (نبات علفي) والحمص والكتان<sup>(٥)</sup>.

هنالك عاملان يؤثران في الزراعة والتدجين هما البيئة واستقرار الانسان وهذان العاملان يحددان اختيار انواع معينة من النباتات والحيوانات التي تعد جزءاً رئيسياً من البيئة الطبيعية وتنعكس الظروف المناخية عليها كما ونوعاً .

١ . الحبوب الغذائية Careals or Grain Grop اذا تمثل المحاصيل الرئيسية في تغذيته اليومية واستخدامها غلفاً لحيواناته كالحنطة والشعير، اللذين يعتبران من المحاصيل القصيرة التي لا تحتاج الى اقل من (١٠) ساعات على ضوء الشمس<sup>(٦)</sup>، وتزرع الحنطة في تربة مزيجية خصبة خالية من الاملاح وكذلك الشعير تكون التربة المزيجية افضل لزراعته<sup>(٧)</sup> وتحتاج هذه المحاصيل الى كثير من الماء، حيث تعتمد على المياه المتساقطة المتمثلة بالأمطار والتلوج بصفة خاصة اضافة الى الحبوب (البرد) والندى والصقيع، ينظر (جدول رقم ١) لملاحظة درجات الحرارة التي تساعد على نمو هذين المحصولين، وتراوح حاجتهما من الامطار بين ١٥ - ٤٥ بوصة في السنة (٣٧٥ - ١١٢٥ مم)<sup>(٨)</sup>.

ومن الممكن الملاحظة بصفة عامة أن المناخ يحدد نوع النباتات التي تنمو وتأثيره في نوع وكمية النباتات التي تعتمد عليها الحيوانات في غذائها<sup>(٩)</sup>. وإن الانتشار الجغرافي لمواقع حلف متطابق مع الحدود الحالية للزراعة الديمة المعتمدة على مقدار كاف من سقوط الأمطار المتميز بالمناطق الهامشية<sup>(١٠)</sup>. وبسبب ارتباط الانسان في عصور قبل التاريخ بالظروف البيئية، واعتماده عليها واستجابته لخصائصها، فقد انحصر اقتصاد عصر حلف على الانتاج الزراعي والرعي اللذين ساهما في تعزيز مرحلة انتاج القوت وتطويرها في منطقة غنية بأراضي الرعي وفي تربة ذات نوعية جيدة متجددة باستمرار اذ كانت الزراعة الديمة أساس تقنية زراعة حلف في المنطقة الأثرية التي قام بسحها الدكتور اسماعيل حجارة حيث استمر انتاج محصول الحبوب بشكل كثيف وإن أكثر هذه المواقع تقع على مصادر مياه طبيعية وحيث أن بعضها يجهز موسمياً. وبعضها الآخر يزود مباشرة بمياه الآبار<sup>(١١)</sup>. وتوسعت نشاطات الحلفين في الجانب الزراعي وركزوا على زراعة محاصيل شتوية مختلفة وذلك نتيجة لطبيعة المنطقة التي استقروا فيها، وكانت من أبرز منتجاتهم

٢ . المحاصيل الزيتية Oil Grops والليفية Fiber Grops والمتمثلة بالكتان اذ يجتمل أنه استخدم لانتاج الزيوت، واستخدمت ليفاه في صناعة الانسجة، ويتم زراعته في التربة المزيجية الطينية الخصبة الخالية من الاملاح. وقد ظهر في الالف الخامس قبل الميلاد في الاريجية<sup>(\*)</sup> وبراك<sup>(\*\*)</sup> وهو السلف البري الذي انتشر فيما بعد بشكل طبيعي<sup>(١٢)</sup>. وحول درجات الحرارة التي تساعد على نموه ينظر (جدول رقم ١).

(٢) فايد، د. يوسف عبد الحميد، جغرافية المناخ والنبات، بيروت ١٩٧١، ص ١٣٧، ١٤١.

(3) Hijara, I. The Halaf period In Northern Mesopotamia, Unpublished ph.D. Thesis, University of London, 1980, Vol. I, p. 235.

(4) Ibid, p. 235.

(5) Helback, H. "The Paleoethnobotany of the Near East and Europe". In, prehistoric Investigations In Iraqi kurdistan, edited by Robert J. Braidwood and Bruce Howe, Studies in Ancient Oriental Civilization, No. 31, University of Chicago press, Chicago, 1960, p. 115.

Jawad, A.J. The Advent of the Era of Townships In Northern Mesopotamia, E.J. Brill, Leiden, Hollan, 1965, p. 23.

Hijara, I. op. cit. pp. 288-289.

Hubbard, R. "Halafian Agriculture and Environment of Arpachiyah 1976, Iraq, Vol. 42, 1980, pp. 153-154.

بغداد ١٩٧٨، ص ١٥٠.

(٧) السعيد مصدر سابق ص ٣٥٣، ٣٦٠.

(٨) كسار، اكرم محمد عبد، عصر حلف في العراق، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى قسم الآثار - كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٨٢، ص ١٤٧.

(\*) الاريجية: اسم تركي معناه (رجال الشعير) ويسمى الموقع محلياً باسم تبة رشوة Tepe Rashwa، ويبعد بمقدار ٨ كم الى الشمال الشرقي من نينوى العاصمة الآشورية، وهو عبارة عن تل صغير يبلغ محيط قاعدته ٦٧ م ويرتفع حوالي ٥٥ م عن مستوى الارض المجاورة، وتم اكتشافه من قبل الاستاذ توميس Thompson في عام ١٩٢٨، وفي عام ١٩٣٣ بدأ الاستاذ ملوان Mallowan حفريات في هذا الموقع واعقبه الاستاذ اسماعيل حجارة بحفريات جديدة في عام ١٩٧٦.

(\*\*) براك: يبعد هذا الموقع بمسافة ٤٦ كم الى الجنوب من نصيبين وبحوالي ٤٣ كم شمال الحلة ويقع على بعد ٤ كم من ضفة نهر الجضجاع الغربية الذي يلتقي بنهر الخابور جنوبي الموقع، وهو ذو شكل بيضوي ابعاده ٨٠٠ × ٦٠٠ × ٤ م ولذا فإنه من اكبر مواقع وادي الخابور حجماً، وقد تم في عام ١٩٣٧ حفر عدة مجسات من قبل الاستاذ ملوان Mallowan في اماكن متفرقة منه.

(9) Helback, H. Op. Cit. P. 115.

حوضه في جرة (١١١). وقد تم العثور على بقايا عظمية تشير الى أنها تعود لحيوانات مدجنة في تل يارم تبة الثاني(\*) على سبيل المثال (١١٢).

وكما تبين لنا طبيعة الظروف المناخية من خلال نوع النباتات التي كانت تنمو في عصر حلف يمكننا أيضاً رسم صورة واضحة أيضاً من خلال الحيوانات التي عاشت في مواقع حلف، وسأتناول البعض منها حسباً توفر لدي من معلومات :-

فالحنزير الوحشي Wildpig يقتات بشكل رئيسي على البلوط والجذور وثمره شجرة الزرات، وهذا يشير الى أن حياته تعتمد على مناطق نفطية معتدلة وكذلك الثيران والابقار عموماً تلتصق حياتها بالمناطق الزراعية الوفيرة المياه، وهي تفضل مناطق الحشائش المعتدلة ومناطق الغابات النفطية المكشوفة (١١٥). وإن أفضل دليل على الابقار المدجنة في عصر حلف في العراق يتمثل برأس حيوان من المحتمل يمثل بقرة عثر عليها في الاربعية وهي تشبه الابقار المدجنة في الوقت الحاضر من ناحية قصر وانحناء قرونها (١١٦). والماعز كبقية الماشية يفضل مناطق الحشائش المعتدلة الوفيرة المياه ولكن اطلاقه تتيح له الحركة في المناطق الصخرية والجبلية (١١٧).

إن تربية القطعان لم تؤد الى ابتكارات جديدة كالزراعة، الا أنها كانت ذات صدى اجتماعي أبرز من الزراعة، اذا ما استعملت بشكل رئيسي لانتاج الحليب أو حتى (للتكاثر) ولم يعامل معاملة الطرائد الاحتياطية القريبة لاستهلاك اللحوم فإنه سيزداد ويتكاثر تلقائياً بشكل ملموس (١١٨)، الا أن هنالك من

يبدوها الجافة لغذائه وحيواناته واستعمل اوراقها وسيقانها كعلف حيواني ومن المحتمل أنه وجد لهذه النباتات مردوداً كبيراً في تحسين خصوبة التربة وتركيبها ومن بقوليات هذا العصر العدس الذي لا يحتاج الى مياه كثيرة فقد اعتمد على مياه الامطار. وينمو ضمن درجات حرارة معينة ينظر (جدول رقم ١).

ولا يغيب عن بالنا ما هيأته الزراعة من فرص الاستقرار الثابت للانسان مثلاً خلقت شروط الزراعة الموسمية فرص الادخار الاجباري لأن ناتج الموسم الزراعي يشكل أساس قوته ومستلزمات البذار للموسم القادم (١١٩) ومع ازدياد ذخيرة الانسان في الاعمال الزراعية توفر فائض ملحوظ من الانتاج الزراعي حيث عمد فيما بعد الى بناء اماكن (مخازن) خاصة أعدها لهذا الغرض (١٢٠).

اما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية في هذه الفترة فتتمثل بالابقار والاعناب والماعز والحنازير المدجنة وصيد الحيوانات البرية مثل الارخص والاعناب البرية والماعز البري والحنازير البرية والثعلب الاحمر واليحموز (نوع من الابل) والطيور (١٢١). وخلال حفريات عام ١٩٤٦ في الاربعية وجد أن هنالك عدة أنواع من الحيوانات والمتمثلة بالماشية، الحنازير، الاعناب والماعز وبقايا قليلة من عظام الغزلان وسن يعود لحمار مدجن او وحشي من نوع (الأرخص) وعظام سمك، واعداد كبيرة من عظام ضفادع

(١٠) جايلد. كوردن «العصر الحجري الحديث» من كتاب الانسان والحضارة والمجتمع ترجمة عبد الكريم محضوض. دمشق ١٩٧٨ ص ١٨٨

(١١) Adams, R. McC. Land behind Baghdad: A history of settlement on the Diyala plain - University of Chicago Press, Chicago, 1965, P. 284.

(12) Hijara, I. Op. cit. P. 284.

Reed, C.A. "A review of the Archaeological Evidence on Animal Domestication in the prehistoric Near East". In, Prehistoric Investigations In Iraqi Kurdistan, edited by Robert J-Braidwood and Bruce Howe, Studies in Ancient Oriental Civilization, No.31, University of Chicago Press, Chicago, 1960, PP. 132-136, 140, 143. Jawad, A.J. Op.Cit. P.23.

الرويشدي. سعدي «نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان» سومر، مجلد ٢٩. ١٩٧٣. ص ١٠. ١٢. كار. أكرم محمد عبد، مصدر سابق ص ١٤٨.

(13) Watson, J. "The Vertebrate fauna From Arpachiyah in Arpachiyah 1976" by Ismail Hijara, Iraq.

Vol. 42, 1980, pp. 152-153.

(١٢) يارم تبة كلمة تركية تعني نصف التل، اذا أن النصف الثاني من التل الثاني من تل يارم تبة دمرته التعرية النهرية لذلك سمي الموقع بهذا الاسم. وهو يقع في سهل سنجار على بعد ٦ - ٧ كم الى الجنوب من قضاء تلغفر. وتل يارم تبة الثاني بيضوي الشكل يصل عرضه من الشرق الى الغرب ٨٠ - ١٠٠ م وطوله من الشمال الى الجنوب ١٢٠ - ١٤٠ م وارتفاعه ٩ م، ابتدأت الحفريات فيه في عام ١٩٦٩ من قبل البعثة الأثرية السوفيتية من المعهد الأثري بموسكو التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي.

(14) Merpert, N. and Rauf Munchaev "Excavation at yarim 1970 Second Preliminary Report", Sumer, Vol. 27, 1971, p.20.

(15) Cornwall, I.W. Prehistoric Animals and their Hunters, London, 1968, PP. 48-49.

(١٦) الدباغ. د. تقي «تدجين الحيوان استناداً الى الآثار المكتشفة في المواقع الأثرية». الآداب. العدد ٣٠. ١٩٨١. ص ٢٩٨.

(١٧) الهاشمي. رضا جواد «البيئة الطبيعية في تاريخ الجزيرة العربية القديمة». الآداب. العدد ٣٠. ١٩٨١. ص ٢٥١.

(١٨) جايلد. كوردن مصدر سابق ص ١٩٠.

وتبة كورا (\*\*\*) وحسونة (\*\*\*\*) ويارم تبة الثاني عن قري زراعية اعتيادية<sup>(٢٢)</sup>، ويمثل يارم تبة الثاني اكبر مستوطن في شمال العراق اذ يرتبط بيارم تبة الثالث (\*\*\*\*) وبهذا تصل مساحته الى ٤ هكتارات<sup>(٢٣)</sup>.

التجارة :

نستطيع معرفة وجود الصلات التجارية او عدم وجودها من خلال بعض المواد او الالات المصنوعة منها والتي لا تتوفر محليا في بعض المواقع ، اذا انها تشير الى وجود صلات تجارية مع مناطق اخرى ، ويظهر ذلك واضحا من وجود حجر الزجاج البركاني (الابسيدي) مثلا .

ويتم الحصول على الزجاج البركاني من مناطق شهدت نشاطات بركانية حديثة<sup>(٢٤)</sup> ، ويستورد من جبال ارمينية البركانية بصورة واسعة ويبدو في الواقع ان هنالك قرية تلكي تبه (\*) (شامير املتي) من عصر حلف تقع قرب بحيرة (وان) كانت تسكنها جماعة من الصناعيين الذين عملوا في استخراج الزجاج البركاني لاجل التصدير<sup>(٢٥)</sup> . وانتقلت الاصداف من الخليج العربي الى وادي الخابور وبذلك توضح بعض انواع العلاقات التجارية مع الخليج العربي<sup>(٢٦)</sup>.

ومن المحتمل ان الطرق لعبت دورا كبيرا في الربط بين المجتمعات الحلفية الى حد بعيد ، وقياسا على الدليل الاثنولوجي فان طرق التبادل التجاري في المجتمعات الحلفية كانت تمثل اقدم اشكال التجارة حيث تم عادة بأساليب المقايضة لانها توظف مبدأ استبدال سلعة بسلعة ، اي انها تقوم على اساس التبادل

يرى أن الحيوانات المدجنة في هذه الفترة اصبحت أكثر أهمية من حيث استعمالها مصدراً للحم والحليب والاستفادة من جلودها واصوافها<sup>(٢٧)</sup> ومن المحتمل أن سكان حلف قد خلقوا نوعاً من التوازن بين الاحتفاظ بالحيوان الداجن وذبحه للمحافظة على تكاثره بشكل منظم .

إن التقدم الاقتصادي الذي شهده العصر متمثلاً بالزراعة المستقرة وتربية الحيوان وما ينتج عن ذلك من توفر ظروف معاشية افضل قد أتاح الفرصة لازدياد السكان وتوسعهم ففي منطقة مساحتها ٣٥٠ كم<sup>٢</sup> تم مسح عدد من المواقع الأثرية تقع في الحافة الشمالية من منطقة الجزيرة في وادي دجلة الاعلى بلغ عددها (٨٣) موقعاً ظهر منها (٣٥) موقعاً حلفياً<sup>(٢٨)</sup>.

وتعتمد كثافة مستوطنات حلف على مناطق الكلا الجيدة ومصادر المياه حيث كان الماء مهماً جداً ليس لأجل الزراعة ، ولكن لحيواناتهم أيضاً<sup>(٢٩)</sup> ، وصنف الاستاذ اسماعيل حجارة مستوطنات حلف حسب ارتفاعها الى مواقع يزيد ارتفاعها عن (٥) أمتار ويحدد انتشارها في المنطقة الممتدة من شرق الموصل الى جنوب تلعفر - سنجار ، واخرى يتراوح ارتفاعها بين (٣ - ٥) أمتار تقع في حدود انتشار مواقع حلف في العراق ، وثالثة اقل من (٣) أمتار بالقرب من مستوطنات كبيرة ، وبناء على ذلك فإن الاحتمال الذي أورده الدكتور اسماعيل حجارة بكونها مستوطنات موسمية يبقى احتمالاً مرجحاً ، وإن اغلبها تقع بالقرب من مصادر المياه في مناطق ذات حشائش جيدة ، وكشفت التنقيبات التي تم اجراؤها في بكم (\*) وبناهليك (\*\*)

شكل مستطيل ابعاده ٢٠٠ × ١٥٠ × ٧ م .

(٢٢) كار . أكرم محمد عبد ، مصدر سابق ص ١٥١ .

(\*\*\*\*) يارم تبة الثالث : يقع ضمن مجموعة تلول يارم تبة قطره

٢٠٠ م وارتفاعه ١٢ م وهو اكبر التلول حجماً ، وابتدأت الحفريات فيه في عام ١٩٦٩ من قبل البعثة الأثرية السوفيتية من المعهد الأثري بموسكو التابع لأكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي .

(٢٣) Postgate, J.N. "Excavation in Iraq", Iraq, Vol. 39, 1977, p. 157.

(٢٤) دوكون ، ج . أ واخرون « الحجارة الابسيدي واصول التجارة » ترجمة رضا الهاشمي ، سومر ، مجلد ٢٨ ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥٥ . (\*) تلكي تبه : يقع تلكي تبه على بعد ٦ كم جنوب جبال (وان) وعلى بعده ١٦ كم شرق بحيرة (وان) ، وهو عبارة عن تل صغير تم الحفر فيه عام ١٨٩٩ من قبل الاستاذ بيلك Belk وفي عام ١٩٣٧ حفر فيه الاستاذ ريلي Reilly .

(٢٥) جايلد ، كوردن ماذا حدث في التاريخ ، ترجمة د . جورج حداد ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٧١ .

جايلد ، كوردن التطور الاجتماعي ، ترجمة لطفي فطيم ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ١٨١ .

Jawad, A.J. OP.Cit .P.2S. (٢٦)

Hijara, I. Op. Cit. p. 251. (١٩)

(٢٠) كار . اكرم محمد عبد ، مصدر سابق ص ١٥٠ .

Hijara, I. Op. Cit. p. 251. (٢١)

(\*) بكم : يقع في وادي شهرزور . وابعاده ١٨٠ × ١٣٠ × ٢٣ م . تقبت فيه مديرية الآثار العامة باشراف السيد محمد علي مصطفى في تشرين الثاني ١٩٦٠ .

(\*\*) كرد بناهلك : يقع في منطقة راوندوز على بعد ١ كم جنوب غربي

قرية ديانا ، وهو تل بيضوي الشكل ابعاده ١٠٠ × ١٥٩ × ٥٠ .

بدأت الحفريات فيه من قبل بعثة جامعة شيكاغو عام ١٩٤٥ .

(\*\*\*) تبة كورا : يقع هذا الموقع الى الشمال الغربي من موقع الارجية

على بعد ٣٠ كم شمالي غربي الموصل ، وتبة كورا كلمة تركية تعني

(التل الكبير) . وهو تل بيضوي الشكل ذو جوانب متدرجة

الانحدار ، ويرتفع ٧٠ قدماً عن مستوى الارض المجاورة . لقد تم

تنقيب الموقع من قبل المدرسة الامريكية للدراسات الشرقية

بالاشتراك مع متحف جامعة بنسلفانيا في عام ١٩٢٧ وفي

الاعوام ١٩٣١ - ١٩٣٨ .

(\*\*\*\*) حسونة : يقع تل حسونة على بعد ٤٥ كم جنوب الموصل وعلى

بعد ثمانية كيلومترات من ناحية الثورة . وسمي هذا الموقع

نسبة لقرية حسونة التي تبعد ٣٠٠ م جنوبي الموقع . وهو ذو

ومرتبط بالحوار المكاني ونادرا ما يتعداه الى اقليم جغرافي بعيد<sup>(٢٨)</sup>.

وقد تبادل الحلفيون بعض الصناعات مثل منتجات الفخار على سبيل المثال حيث تصنع في مراكز صنعه ومن ثم تصدر الى مواقع محلية اخرى . اذ توصل لذلك دافيدسون Davidson على اساس دراساته للنشاط الاشعاعي النيوتروني من وصول فخار الارجية الى تب كورا<sup>(٢٩)</sup> . وهناك عدة انواع من تجارة الفخار منها محلية كتصديره من الارجية الى تب كورا او اقليمية كالتجارة بها بين كل حلف<sup>(\*)</sup> وتل چكار بازار<sup>(\*\*)</sup> اوبين الارجية وحسونة او بين مواقع لم تكن حلقية كمتجارة فخار حلف مع موقع سامراء<sup>(\*\*\*)</sup> او وصول تأثير فخار حلق على مستوطن راس العمية العبيدي على سبيل المثال<sup>(٣٠)</sup>.

### الحياة الاجتماعية

البشر مخلوقات اجتماعية يفضلون التجمع والارتباط والانسان بطبعه كائن اجتماعي ولكن مما يؤسف له أن دراسات قبل التاريخ تواجه صعوبات كبيرة لابرار الوصف الاجتماعي الدقيق للعلاقات الاجتماعية في العصور التي سبقت التاريخ . ويصبح التفسير الاجتماعي اصعب كلما توغلنا في القدم .

ففي العصور القديمة تؤدي بساطة البناء الحضاري للعصر الى جعل التفسير الاجتماعي ايسر . ولكن عدم توفر النصوص الكتابية وحيانا قلة المادة التاريخية المتخلفة تجعل كل نتيجة اليها مجرد تخمين بحت . ويصبح من الممكن نتيجة لذلك تاويل الظاهرة الواحدة بطرق مختلفة كل الاختلاف<sup>(٣١)</sup> .  
وبما ان مجتمع حلف زراعي فان جوهر حياته الزراعية الرفيعة هو وجود القرية وممارسة الزراعة اي الاستقرار في مكان

الى البقاء بجانبه . ولذلك فنظرة الفلاحين الانتاجية تستهدف ضمان وسائله والحفاظة عليها ، فهي نظرة سكنوية (محافظة) واساليبها في الحياة لا شخصية جامدة وبالتالي ينعكس هذا على انواع الفن فتكون عندها تقليدية لا تتغير<sup>(٣٢)</sup> .

وتكمن جذور القرية في الصلة الوثيقة بين الميلاد والمكان ، وكل عضو فيها هو انسان كامل يقوم باداء كل الوظائف الملازمة لكل مرحلة من مراحل الحياة منذ الميلاد الى المات مستعينا بقوى طبيعية يجلبها ويخضع لها ، وتتكون القرية من مجموعة من الاسر وكل اسرة تتبع اسلوب الحياة نفسها وتبذل الجهود نفسها<sup>(٣٣)</sup> .

وقد عرف المجتمع في هذه الفترة الديمقراطية البدائية وان الوحدة الاجتماعية التي تمسكت بها هي وحدة اجتماعية قائمة على اساس من علاقة القرابة وان افراد المجتمع كانوا منظمين في شكل عوائل ابوية موسعة<sup>(٣٤)</sup> .

وبالقياس على الدليل الانثروبولوجي تكون الملكية بين افراد المجتمع مشاعة بصورة عامة باستثناء المواد الشخصية مثل الملابس ومواد الزينة<sup>(٣٥)</sup> ، ومن المحتمل أن يتم تقسيم العمل على اساس الجنس والعمر والمهارة ، فيتسلم الرجل الاعمال الصعبة في حين تترك الاعمال السهلة والتي تقتضي وقتاً طويلاً وصبراً كبيراً للنساء .

ربما تشير النقوش الزخرفية الى نمط الحياة الاجتماعية : فعلى سبيل المثال تكشف لنا النقوش الهندسية الى تحول نمط الحياة فقد كان الصياد دائماً على ترصد الحيوان قبل كل شيء أما المزارع فله تكوين آخر وعادات ذهنية اخرى فهو اذا بدا نصف راحل ثم استقر في مناطق اضيق فاضيق ووجد نفسه امام مسألة تقطيع الارض وتحديد الملكية ولقد وجب عليه تنظيم المساحة

الطريق الرئيسي الذي يربط عمودة - الحكمة . وهو ذو شكل بيضوي وابعاده ٤٠٠ x ٣٠٠ x ٢١ م . نقب من قبل الاستاذ ملوان Mallowan .

\*\*\* سامراء : مدينة حديثة تقع على نهر دجلة شمال بغداد بمسافة ٢٢٠ كم . نقبت من قبل الاستاذ هير تيفيلد Herzfeld عام ١٩١١ م .  
(٣٠) كار . اكرم محمد عبد مصدر سابق ص ٥ - ٦ .

(٣١) هاووزر . ارنولد . الفن والمجتمع عبر التاريخ . الجزء الاول . ترجمة د . فؤاد زكريا ومراجعة احمد خاكي . القاهرة . ١٩٦٧ . ص ٧ .  
(٣٢) هاووزر . ارنولد . المصدر السابق . ص ٢٩ .

(٣٣) ممفورد . لويس . المدينة على مر العصور . الجزء الاول . ترجمة د . ابراهيم نصحي . القاهرة . ١٩٦٤ . ص ٢٥ - ٣١ .  
(٣٤) الطعان . د . عبدالرضا . الفكر السياسي في العراق القديم . بغداد . ١٩٨١ . ص ٢١٦ . ٢١٩ .

(٣٥) سليم . د . شاكرا مصطفى . المدخل الى الانثروبولوجيا ، بغداد . ١٩٧٥ . ص ٦٥ .

٢٧ النوري . د . قيس طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجية الاجتماعية . الجزء الثاني . بغداد . ١٩٧٢ . ص ٩٥ - ٩٨ .  
(٢٨) رياض . د . محمد الانسان ودراسة في النوع والحضارة . بيروت . ١٩٧٤ . ص ٢٠٤ .

Davidson, T. and Hugh Mckerrell "The Neutron (٢٩) Activation Analysis of Halaf and Ubaid Pottery From Tell Arpachiyah and Tepe Gawra", Iraq, Vol.42, 1980, p. 161.

(\*) حلف : يقع تل حلف (كوزانا) على الضفة اليسرى لنهر الحابور بالقرب من راس العين عند الحدود السورية التركية . نقب التل من قبل الاستاذ اوبنهايم oppenheim في الاعوام ١٨٩٩ . ١٩١١ - ١٩٢٩ و ١٩٣٩ .

(\*\*) چكار بازار : يقع في وادي الحابور في شمالي سوريا على مسافة ٤٠ كم جنوب غرب نصيبين والقامشلي وعلى مسافة ٢٥ كم جنوبي العمودة على

وللمرة الاولى شعر بالحاجة الى هندسة لا تخمينية (٣٦) وكشفت الحياة الزراعية ايضاً عن ايقاعات الحياة وتدرج الظواهر الطبيعية كالايام والفصول ، وكالنباتات في الاخص التي تصيف الى تكرار ذلك التوالي في النمو والتناقص الذي هو القانون الحيوي الاكثر وضوحاً (٣٧).

أما فيما يتعلق بالجانب الديني فانه يلعب دوراً بالغ الاهمية ويتداخل بعمق مع البناء الاجتماعي والنظام السياسي والكيان الاقتصادي وهو ايضاً تعبير عن النظام الاجتماعي الذي يعيش فيه افراد المجموعة التي تدين به (٣٨).

ونلاحظ ان المادة الاثرية التي خلفها انسان عصر حلف لا ترسم لنا صورة واضحة عن طبيعة الفكر الديني ، وقد عانى الانسان في تلك الفترة مصاعب كثيرة نتيجة للظروف الطبيعية المحيطة به وهذا له انعكاس كبير على حالته النفسية ووضعه في مأزق معين مما يدفعه لشحن تفكيره لايجاد المخرج ومن ثم التخفيف من قساوة الظواهر الطبيعية ، وبالتالي محاولاته المتعددة حول البحث عن وسائل الاطمئنان والاستقرار في حياته . ومن الطبيعي ايضاً ان يكتسب العديد من التجارب الطويلة التي مارسها خلال صراعه مع البيئة بقواها المختلفة هذا من ناحية واكتساب العديد من التجارب المتوارثة التي هيأت له امكانية بداية التوصل الى بعض الاصول الخاصة ببعض ظواهر الحياة من حيث كنهها وغايتها ، ومحاولة ربط ذلك بحاضره ومستقبله من ناحية أخرى (٣٩).

لقد ساد عصر حلف في الاقسام الشمالية من العراق وحضارته زراعية تعتمد في انتاجها بشكل رئيسي على المطر ولذلك امتدت في منطقة امطار فصلية كافية لنمو الزراعة وبذلك لا تحتاج من الارض الا الخصوبة ، اذ بتوفرها يزداد الانتاج الذي هو اساس البقاء لهم ، وعبروا عن ذلك من خلال بعض مخلفاتهم التي تركوها لنا .

وقد قدسوا فكرة الخصوبة وكل ما يولد حياة جديدة ورمزوا لذلك ببعض الدمى المصورة للام وذلك من المحتمل ان الام ظاهرياً حسب اعتقادهم هي المولدة والمنتجة للحياة بين الجنس

البشري بشكل مستمر وتمثل ظاهرة الامومة والخصوبة والانتاج ويمكن ملاحظة ذلك من خلال أمثلة عديدة عثر عليها في مواقع خلفية مختلفة .

ولأبد من وجود النظرير للعنصر الأنثوي الذي رمز له بدمى مضخمة الاعضاء الجنسية المصورة للام وهذا النظرير هو العنصر الذكري في الطبيعة الذي يمثله الثور والمتخذ رمزاً للنمو والتكاثر (٤١) ، ولهذا نجد أن سكان حلف قد اعطوا للثور أهمية خاصة من خلال كثرة ما جاءنا من نقوش زخرفية على الفخاريات ابتداء من رسمه بشكل طبيعي وصولاً الى الشكل التجريدي وذلك لانه يمثل الحصب من ناحيتين فهو رمز القوة والنشاط وهو من ينابيع الحصب الممتازة في الزراعة بوصفه سيد الماشية ويرمز الكبش لصفة الحصب لوجود نزعة قوية من الاخصاب فيه . وبهذا فإن تقديس الامومة وعبادة الثور من البوادر الفكرية الاولى الهامة للمجتمع الزراعي (٤٢) وقد اصبح الثور فعلاً في العصور التاريخية احد القاب الاله الحصب دموزي (تموز) (٤٣) . ومن النقوش الزخرفية التي تتكرر الفأس ذو الرأسين التي استعملت من قبل الاله لتمزيق السحب واطلاق عواصف المطر التي تحتاج اليها الحاصلات والمراعي حاجة شديدة (٤٤) ، الا أن هذا التفسير اجد فيه صعوبة وبعداً عن الواقع ولا أظن ان انسان ذلك العصر ربط بين الفأس ومسألة نزول الامطار وما هو الاساس الذي اعتمد عليه الاستاذ بارو في ما هية العلاقة بين السحب والفأس .

واستخدم الانسان في هذه الفترة بعض التائم التي اعتقد بفاعليتها في ابعاد القوى الخفية الشريرة التي من المحتمل أن تهدد حياته وامته وكان البعض منها مثقوب ليسهل حملته والبعض الآخر يتصل بظاهرة الخصوبة (٤٥).

وبهذا نرى أن أول المرامي الدينية كان التأمين الاقتصادي ومحاولة التقرب من القوى الخفية الموفرة للانتاج والخصوبة وعلى ذلك فقد احس انسان ذلك المجتمع بالحاجة الماسة الى ارضاء تلك القوى الطبيعية المتحكمة في الانتاج الزراعي والوفر الاقتصادي (٤٥).

وتلعب الطقوس الروحية التي تشد أعضاء الجماعة الى بعضهم

1956, p-5.

(٤١) مورتكات ، د . انطوان تاريخ الشرق الادنى القديم ، تعريب توفيق سليمان وآخرون ، دمشق ١٩٦٧ ، ص ٢٣ .

(٤٢) علي ، د . فاضل عبد الواحد «عشتار وتموز جنور المعتقدات الخاصة بها في حضارة وداي الرافدين» ، سومر ، مجلد ٢٩ ، ١٩٧٣ ، ص ٣٨ .

(٤٣) بارو ، اندريه مصدر سابق ، ص ٩٨ .

(٤٤) الناضوري ، د . رشيد مصدر سابق ، ص ٣١ .

(٤٥) الناضوري ، د . رشيد مصدر سابق ، ص ١٦٠ .

(٣٧) هويغ ، رينيه . الفن تأويله وسيله . الجزء الاول . ترجمة صلاح

برمدا ، دمشق . ١٩٧٨ . ص ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٣٧) هويغ ، رينيه . مصدر سابق . ص ١٤٥ .

(٣٨) سليم . د . شاكر مصطفى . مصدر سابق . ص ٦٧ .

(٣٩) الناضوري ، د . رشيد المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال افريقيا ، الجزء الثالث . بيروت . ١٩٧٧ . ص ٢٩ .

Mallowan, M.E.L. Twenty-Five Years of Mesopotamia (٤٠) an Discovery

The British School of Archaeology in Iraq, London,

تشهد فيهم عاطفه الانتساب والتعارب والتي بنصوي تحت لتنظيم السياسي الى جانب القرابة والاقليم دورا كبيرا في دعم لوحدة السياسية البدائية فهي لا تنضب على ترسيخ العواطف الجماعية فحسب بل وتضيف طابع الشرعية والتقدسية على لروابط القائفة بين اعضاء الجماعة (١٣).

## المصادر

### - المصادر العربية

- ارو . اندريه سومر فنونها وحضارتها . ترجمة د . عيسى سلمان وسليم طه التكريتي . دار الحرية . بغداد . ١٩٨١ .  
 تايلد . كوردين ماذا حدث في التاريخ . ترجمة د . جورج حداد . القاهرة . ١٩٥٦ .  
 تايلد . كوردين التطور الاجتماعي . ترجمة لطفي فطيم . القاهرة . ١٩٦٦ .  
 تايلد . كوردين « العصر الحجري الحديث » من كتاب الانسان والحضارة والمجتمع ترجمة عبد الكريم محضوض . دمشق . ١٩٧٨ .  
 لحسن . د . عبي ود . احمد أنور الباري انتاج المحاصيل . دار المعارف بصر ١٩٧٢ .  
 لداغ . د . تقي « تدجين الحيوان استنادا الى الآثار المكتشفة في المواقع الأثرية » . الاداب . العدد ٣٠ . ١٩٨١ . ص ص ٢٧٨ - ٣١٣ .  
 وكسون . ج . أ . واخرون « الحجارة الالوسيدية وأصول التجارة » . ترجمة رضا الهاشمي . سومر . مجلد ٢٨ . ١٩٧٢ . ص ص ٢٥٣ - ٢٦١ .  
 لرويشدي . سعدي « نظرة في عملية تدجين النبات والحيوان » . سومر . مجلد ٢٩ . ١٩٧٣ . ص ص ٣ - ١٢ .  
 رياض . د . محمد الانسان ودراسة في النوع والحضارة . بيروت . ١٩٧٤ .  
 لسعيدي . د . محمد عبد اساسيات انتاج المحاصيل الخلقية . بغداد . ١٩٧٨ .  
 سليم . د . شاكر مصطفى المدخل الى الانثروبولوجيا . بغداد . ١٩٧٥ .

اسم المحصول	درجة الحرارة الصغرى	درجة الحرارة المثلى	درجة الحرارة العظمى
الحنطة	٣ - ٥	٢٥	٣٠ - ٣٢
الشعير	٣ - ٤,٥	٢٥	٢٨ - ٣٠
الكتنان	٢ - ٣	٢٥	٣٠
العنيس	٤ - ٥	٣٠	٣٦

- الطعان . د . عبد الرضا الفكر السياسي في العراق القديم ، بغداد . ١٩٨١ .  
 علي . د . فاضل عبد الواحد « عشتار وتموز جذور المعتقدات الخاصة بها في حضارة وادي الرافدين » ، مجلد ٢٩ ، ١٩٧٣ . ص ص ٣٥ - ٧٠ .  
 فايد . د . يوسف عبد الحميد جغرافية المناخ والنبات . بيروت ، ١٩٧١ .  
 كسار . اكرم محمد عبد عصر حلف في العراق ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى جامعة بغداد - كلية الاداب - قسم الآثار ١٩٨٢ .  
 محنورد . لويس المدينة على مر العصور . الجزء الاول ، ترجمة د . ابراهيم نصحي . القاهرة . ١٩٦٤ .  
 مورتيكات . د . انطوان تاريخ الشرق الادنى القديم ، تعريب : توفيق سليمان وآخرون . دمشق . ١٩٦٧ .  
 الناصوري . د . رشيد المدخل في التحليل الموضوعي المقارن للتاريخ الحضاري والسياسي في جنوب غرب آسيا وشمال أفريقيا . الجزء الثالث ، بيروت ، ١٩٧٧ .  
 النوري . د . قيس طبيعة المجتمع البشري في ضوء الانثروبولوجية الاجتماعية . الجزء الثاني ، بغداد ، ١٩٧٢ .  
 الهاشمي . رضا جواد « البيئة الطبيعية في تاريخ الجزيرة العربية القديمة » . الاداب . العدد ٣٠ . ١٩٨١ . ص ص ٢٤١ - ٢٦٤ .  
 هاووزر . ارنولد الفن والمجتمع عبر التاريخ . الجزء الاول ، ترجمه د . فؤاد زكريا ومراجعة احمد خاكي . القاهرة ، ١٩٦٧ .  
 هويغ . رينيه الفن تأويله وسبيله . الجزء الاول ، ترجمة صلاح برمدا . دمشق . ١٩٧٨ .

(٤٧) السعيدي . د . محمد عبد مصدر سابق . ص ١٤٦ .

(٤٦) النوري . د . قيس مصدر سابق . ص ١٠١ .

## REFERENCES

- Adams, R. McC. I and behind Baghdad: A history of Settlement on the Diyala plain. University of Chicago press, Chicago, 1965.
- Braidwood, R.J and B. Howe prehistoric Investigations In Iraqi kurdistan studies In Ancient Oriental Civilization, No-31, University of Chicago Press, Chicago, 1960.
- Cornwall, I.W. Prehistoric Animals and their Hunters, London, 1968.
- Davidson, T. and Hugh Mckerrell "The Neutron Activation Analysis of Halaf and ubaid pottery From Tell Arpachiyah and Tepe Gawra", Iraq, Vol-42, 1980, pp. 165-167.
- Helback, H. "The paleoethnobotany of the Near East and Europe". In, Prehistoric Investigations in Iraqi kurdistan, edited by Robert J. Braid wood and Bruce Howe, studies in Ancient Oriental Civilization, No.31, University of Chicago press, Chicago, 1960.
- Hijara, I. The Halaf Period In Northern Mesopotamia, Unpublished ph-D. Thesis, University of London, Vol. I, 1980.
- Hubbard, R. "Halafin Agriculture and Environment at Arpachiyah" By Ismail Hijara In Arpachiyah 1976, Iraq, Vol. 42; 1980, pp. 153-154.
- Jawad A.J. The Advent of the Era of Town Ships In Northern Mesopotamia, E.J. Brill, Leiden, Hollan, 1965.
- Mallowan, M.E.L. Twenty-Five Years of Mesopotamian Discovery The British School of Archaeology In Iraq, London, 1956.
- Merpert, N. and Rauf Munchaev "Excavation at Yarim 1970. Second preliminary Report", Sumer, Vol. 27. 1971. pp. 9-22.
- Postgate, J.N. "Excavation In Iraq", Iraq, Vol-39, 1977, pp. 302-319.
- Reed, C.A. "A review of the Archaeological Evidence on Animal Domesti Cation in the prehistoric Near East". In, prehistoric Investigations In Iraqi kurdistan, edited by Robert J. Braidwood and Bruce Howe, studies in Ancient Oriental Civili Zation, No. 31, University of Chicago Press, Chicago. 1960.
- Watson, J. "The Vartebrate Fauna From Arpachiyah in Arpachiyah 1976" by Ismail Hijara, Iraq, vol. 42, 1980, pp. 152-153.